

محاضرات في النحو الوظيفي - تخصص لسانيات عامة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كلية الآداب و الحضارة الإسلامية

قسم اللغة العربية

محاضرات في النحو الوظيفي - تخصص لسانيات عامة

السداسي السادس

على موقع الجامعة

2020 م

الأستاذ : كريم خلدون

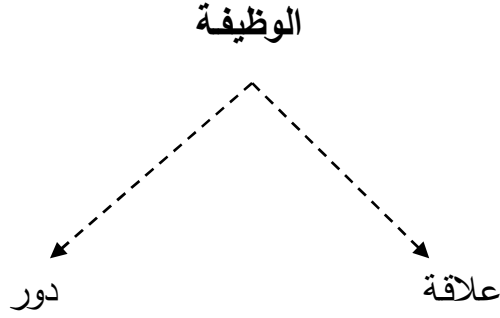
الوظيفة Function

مصطلح الوظيفة من بين المصطلحات اللسانية المعرفية الأساس التي اخترقتها الكثير من المفاهيم و الدلالات و المعاني و تقاطعت فيما بينها في تكاثفية مركزة حتى أضحت حجابا وعائقا يحول دون وضوح حقيقة هذا المصطلح و حدوده الابستمولوجية و مدى حضوريته في تركيبية الجهاز الواصف للنحو الوظيفي لدى المتلقي المختص ناهيك عن يعد من المبتدئين في قراءت هذا المنهج العلمي اللساني القائم بذاته .

و بناء على ما تقدم ذكره و (قبل كل شيء)¹ سعى أحمد المتوكل - بعدما لاحظ هذه الظاهرة و عايشها - إلى (رفع الالتباس عن مصطلح الوظيفة الذي واكبت استعماله مفاهيم مختلفة , الالتباس أدى في بعض الأحيان إلى التقريب بين أنحاء متباينة كالنحو الوظيفي و النحو المعجمي الوظيفي ...)² , و حتى يعالج هذا الاشكال و تتقشع الضبابية عن الرؤية الصحيحة لمصطلح الوظيفية من منظور النحو الوظيفي عمد أحمد المتوكل إلى (إرجاع هذه المفاهيم إلى مفهومين اثنين : الوظيفة كعلاقة و الوظيفية كدور)³ . هذا التقسيم يقودنا إلى النقطة الآتي .

أنواع الوظيفة

-
- 1 - أحمد المتوكل : التركيبات الوظيفية , قضايا و مقاربات , مكتبة دار الأمان - الرباط , ط1 : 2005 م , ص : 21 .
- 2 - المرجع نفسه , ص : 24 .
- 3 - أحمد المتوكل : التركيبات الوظيفية , قضايا و مقاربات , ص : 21 .



هذا الرسم البياني - إذا - يوضح رؤية أحمد المتوكل للوظيفة من حيث دلالاتها المركزية , فما المفهوم المعرفي الذي يحمله كلا من : العلاقة و الدور من منظور التفكير النحوي الوظيفي ؟ هل هما مصطلحان متنافران أم متجاذبان ؟ متى يقتضي النحو الوظيفي التعاطي مع مصطلح العلاقة فقط ؟ و متى تصير حضورية مصطلح الدور مسألة لا فكاك عنها ؟ .. هذه التساؤلات و غيرها تجيب عنها التفاصيل الآتية .

أ - الوظيفة العلاقة :

يراد بهذا المصطلح (العلاقة القائمة بين مكونين أو مكونات في المركب الاسمي أو الجملة)⁴ , هذا يعني أن السلوك اللغوي مهما كان حجمه و مهما تنوعت ظروفه فإنه تركيبية تشكلها أساسا علاقات محكمة النسيج و التلاحم تتجانس في بنية عميقة لتظهر أصوات تداولية بين أطراف تواصلية تؤسسها بنية سطحية .. هذا التصور لماهية الوظيفة انطلاقا من كونها علاقة هو متواجد في معظم (الانحاء - بما في ذلك الانحاء التقليدية -

4 - أحمد المتوكل : التركيبات الوظيفية , قضايا و مقاربات و ص : 21 .

من اختلاف من نحو إلى آخر أو من نمط إلى نمط من الأنماط)⁵ . و السبب في ذلك إنما يعود إلى (نوع العلاقة التي يرد رامزا إليها)⁶ .

* - في الاتجاه الصوري :

يوظف هذا المصطلح (للدلالة على العلاقات التركيبية كعلاقات الفاعل و المفعول المباشر و المفعول غير المباشر)⁷ , و غيرها من الوظائف النحوية التي يستولدها التركيب من خلال شبكة العلاقات الإضافة و التبعية ...

* - في الإنحاء ذات المنحى الوظيفي :

هنا يستعمل المصطلح ليستهد دلالة أخرى مغير للاتجاه السالف و هي (الدلالة على كل العلاقات التي يمكن أن تقوم داخل الجملة أو داخل المركب) و هذا الذي نجده متجليا بقوة في النحو الوظيفي , حيث يميز (بين ثلاث مستويات من الوظائف : وظائف دلالية : منفذ , متقبل , مستقبل , زمان , أداة ... و وظائف تركيبية : فاعل مفعول , و وظائف تداولية : محور , بؤرة)⁸ .

و هنا تجدر الإشارة إلى نوعين الوظائف تعمل على مباينة الانحاء بعضها عن بعض

, و هي / الوظائف المشتقة و و الوظائف غير المشتقة/الأولى .

5 - المرجع نفسه , ص : 22 .

6 - المرجع نفسه , ص : 22 .

7 - المرجع نفسه , ص : 22 .

8 - أحمد المتوكل : التركيبات الوظيفية , قضايا و مقاربات , ص : 22 .

الوظائف المشتقة :

يتخذ هذا اللون من الوظائف سمة (علاقات مشتقة)⁹ (حين يتم تحديدها على أساس موقع المكونات داخل بنية تركيبية معينة , في هذه الحالة يعد فاعلا المكون الذي تعلوه مباشرة المقولة الجملة في حين يعد مفعولا المكون الذي تعلوه مباشرة المقولة المركب الفعلي بالنسبة للغات الشجرية كاللغتين الانجليزية و الفرنسية . و يعد بؤرة في الأنحاء الصورية المكون الحامل لنبر الجملة المركزي أو المكون المتصدر للجملة)¹⁰

الوظائف غير المشتقة/الأولى :

اخذ الوظائف هنا صفة الأولى أو سمة غير المشتقة (إذا هي حددت بدءا , مجردة عن أي بنية صرفية - تركيبية أو تطريزية)¹¹ , و لتوضيح هذين النوعين أكثر نستعين بالأمثلة الآتية :

1 - أ : من تزوج خالد ؟

- ب : تزوج خالد هنداً .

2 - أ : تزوج خالد زينب .

- ب : هنداً تزوج خالد .

9 - المرجع نفسه , ص : 22 .

10 - المرجع نفسه , ص : 22 .

11 - أحمد المتوكل : التركيبات الوظيفية , قضايا و مقاربات , ص : 22 .

نستطيع التعاطي مع وظيفة البؤرة في الأمثلة السالفة من منظور (مقاربتين مختلفتين :

مقاربة اشتقاقية و مقاربة أولية)¹² , و تفصلا لذلك فقد احتوت المجموعة (1) و (2) :
بؤرة جديدة و بؤرة مقابلة .

- المقاربة الاشتقاقية :

(تسند بؤرة الجديد إلى المكون **هندا** على أساس أخذه النبر المركزي و بؤرة المقابلة

إلى نفس المكون على أساس تصدره للجملة)¹³ .

- المقاربة غير المشتقة / الأولى :

تسند وظيفة بؤرة الجديد و بؤرة المقابلة هنا إلى (المكون المعني بالأمر)¹⁴ في

المجموعتين (بدءا على أساس حملته للمعلومة الجديدة و للمعلومة التصحيحية)¹⁵ , أما إذا

تساءلنا عن وضعية نبره و تصدره فهما يعدان (.. سمتين سطحييتين ناتجتين عن تبئيره لا

العكس)¹⁶ .

أ - الوظيفة الدور :

12 - المرجع نفسه , ص : 23 .

13 - المرجع نفسه , ص : 23 .

14 - أحمد المتوكل : التركيبات الوظيفية , قضايا و مقاربات , ص : 23 .

15 - المرجع نفسه , ص : 23 .

16 - المرجع نفسه , ص : 23 .

أم المفهوم الثاني للوظيفة في رؤية منطري النحو الوظيفي فتعني الدور ، و هذا المصطلح من حيث التعريف هو عبارة عن (الغرض الذي تسخر الكائنات البشرية اللغات الطبيعية من أجل تحقيقه)¹⁷ ، و من ثمة يمكن النظر إليه على أنه عملية طبيعية هادفة و غائية في الوقت نفسه ، تتم بين طرفين عاقلين أو أكثر في إطار تفاعلي محكم ، يحكم نسيج من الأطراف المتناسقة و المنسجمة داخلية و خارجية ، يؤدي الكل في النهاية إلى المشاركة في تحقيق أغراض مختلفة في خبرة أو مهارة أو مفهوم أو عمل أو سلوك معين أو فكرة أو معلومة، بهدفه التأثير عن قصد للحصول على استجابة معينة من شخص معين أو مجموعة من الأشخاص.

- نتيجة :

مما تقدم ذكره يمكن تحديد أهم نقاط الفاصلة/اختلافات أو تلك الواصلة/اتفاقات المميزة

بين الوظيفة العلاقة و الوظيفة الدور في هذه الاشارات الموجزة :

- (هما مفهومان متباينان) ¹⁸	
- (العلاقة رابط بنيوي قائم بين مكونات الجملة أو مكونات المركب) ¹⁹	- الاختلاف
- (الدور يخص اللغة بوصفها نسقا كاملا) ²⁰	

17 - المرجع نفسه ، ص : 23 .

18 - أحمد المتوكل : التركيبات الوظيفية ، قضايا و مقاربات ، ص : 23 .

19 - المرجع نفسه ، ص : 23 .

20 - المرجع نفسه ، ص : 23 .

<p>- الوجه الأول : الأنحاء التي تتبنى وظيفة اللغة مبدأ و منطلقا رئيسا) تسخر لأجله كدور تحقيق التواصل بين مستعمليها , تضاف إلى الوظائف التركيبية و الدلالية وظائف أخرى يمكن تسميتها وظائف تداولية كوظيفتي : المحور و البؤرة ..²¹ , علما بأن هذه الوظائف تكاد تكون غائبة كما هو واضح في (الأنحاء التي لا تولي اهتماما كبيرا للجانب الوظيفي للغة)²² .</p> <p>- الوجه الثاني : غالبا ما تتخذ الوظائف (وضع وظائف أولى / غير مشتقة في أنحاء تستند للغة دورا معينا - دور تحقيق التواصل خاصة - ..²³ , أما الأنحاء الأخرى غير الوظيفية فالسمة المشار إليها سالفا) ليست لها)²⁴</p>	<p>- الاتفاق</p>
--	------------------

ج - الوظيفة في منظور بعض اللسانيين

تناول التفكير اللساني الحديث مصطلح الوظيفة من زوايا نظر مختلفة و ذلك بحسب الحقل المعرفي التخصصي أو النزعة الاستمولوجية المتبناة و الخلفية الفكرية المنطقية , و على هذا وجدنا نظرة جاكبسون مختلف عن رؤية هاليداي أو تشومسكي و غيرها ..

21 - المرجع نفسه , ص : 24 .

22 - المرجع نفسه , ص : 24 .

23 - أحمد المتوكل : التركيبات الوظيفية , قضايا و مقاربات , ص : 24 .

24 - المرجع نفسه , ص : 24 .

لمفهومية الوظيفة *Function* للغة الطبيعية و إجراءاتها و خياراتها الإستراتيجية في السلوك اللغوي الفردي و الجماعي ...

أ - فمن الألسنيين الوظيفين نجد بداية **جاكسون** الذي حدد للغة ست وظائف مفصلية تمثل في مجموعها الوظيفية التواصلية التي وجدت من أجلها اللغة الإنسانية خاصة , و هي ملخصة في ما يلي :

1 - الوظيفة المرجعية/الاحالية

2 - الوظيفة التعبيرية

3 - الوظيفة التأثيرية

4 - الوظيفة الشعرية

5 - الوظيفة الاتصالية

6 - الوظيفة الميتالغوية

ب - بينما **هاليداي** حصر وظائف اللغة في ثلاثة أنواع :

1 - الوظيفة التمثيلية

2 - الوظيفة التعاقبية

3 - الوظيفة النصية .

هذه الوظائف الثلاث مستقل بعضها عن بعض , و لكنها تؤول في مجموعها و تنتهي إلى وظيفة التواصل , على تباين فروعها ...

ج - أما إذا يمنا تجاه المفكر التحويلي التوليدي تشومسكي فنجده يذهب مذهبا يختلف إلى حد بعيد فيما يخص وظيفة اللغة الأساسية مقارنة بجاكسون و هاليداي , إذ يعتبرها كامنة في : التعبير عن الفكر ليس إلا , و لهذا تقتصر الوظائف - في نظر هذه المدرسة عموما - على العلاقات التركيبية ...

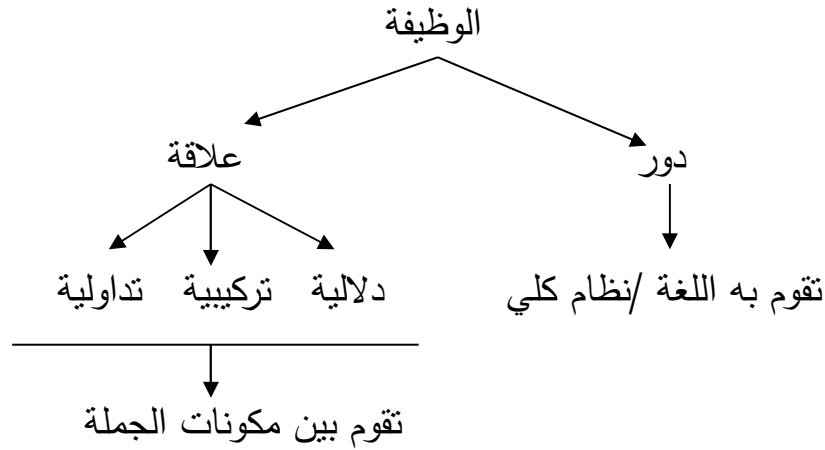
د - أما سيمون ديك و النحو النسقي لهاليداي و مدرسة براغ - في الوجه الوظيفي للجملة - .. أي اللغويون الوظيفيون و فلاسفة اللغة الطبيعية فيجمعون على أن اللغة الانسانية تستعمل أساسا لتحقيق وظيفة مركزية و هي إقامة التواصل بين مستعملها , و بهذا تكون وظيفة اللغة الطبيعية الأساس هي : التواصل .

و قد تناول أحمد المتوكل هذه الآراء المتباينة بعناية معرفية سبر غورها و وقف عند مكن و منبع اختلافاتها , حيث أكد أن (الاختلاف بين اللسانيين و فلاسفة اللغة كامن في أمرين : طبيعة الأدوار التي تسخر اللغة للقيام بها + و عددها)²⁵ , و من هنا انتهى الحقيقة التي نبه إليها مرات عديدة تجمع ما اختلف من الآراء و تزين الغموض و التضاد

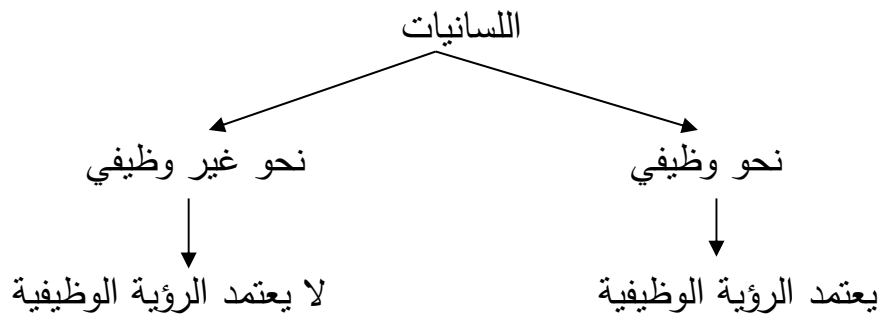
أحيانا بين القسيمات و التفرعات المتنوعة لوظيفة اللغة الطبيعية .. هذه الحقيقة تتمثل في أن (اللغة وظيفة واحدة , إما وظائف هاليداي و وظائف ياكبسون فمن الممكن عدها أنماطا من أنماط التواصل المتعددة)²⁶

يمكن تلخيص ما جاء في قضية الوظيفة في الخطاطات الآتية :

الرسم : 01

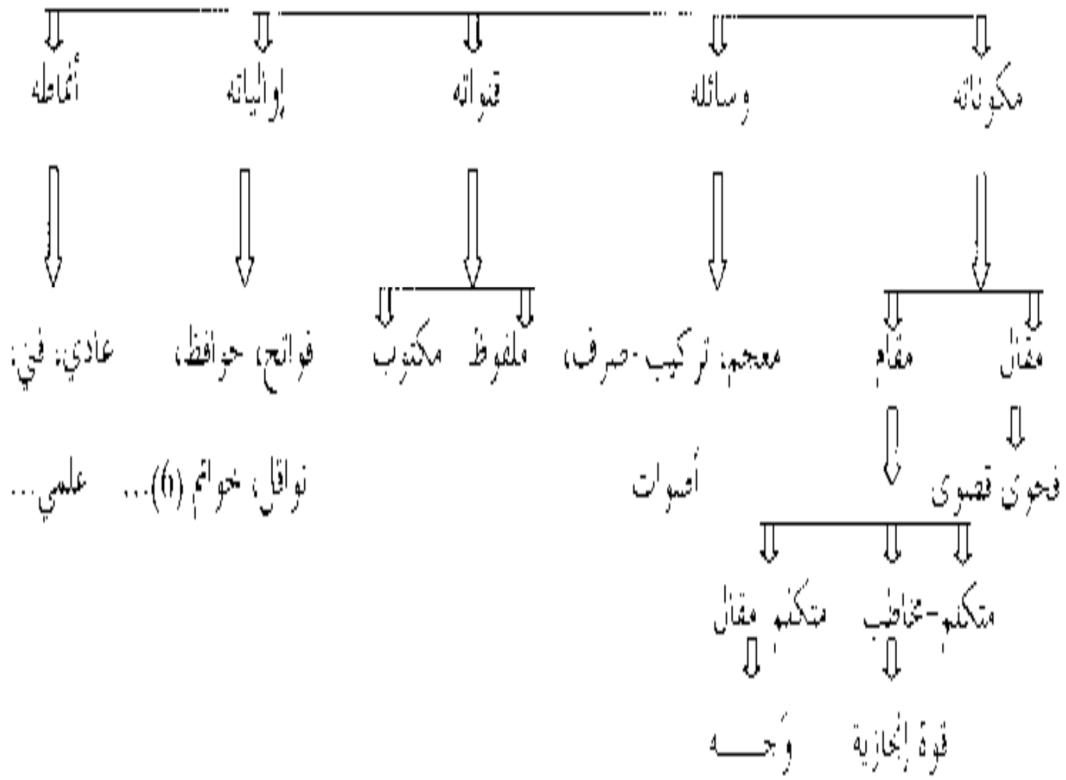


الرسم : 02



الرسم : 03

(15) التواصل اللغوي

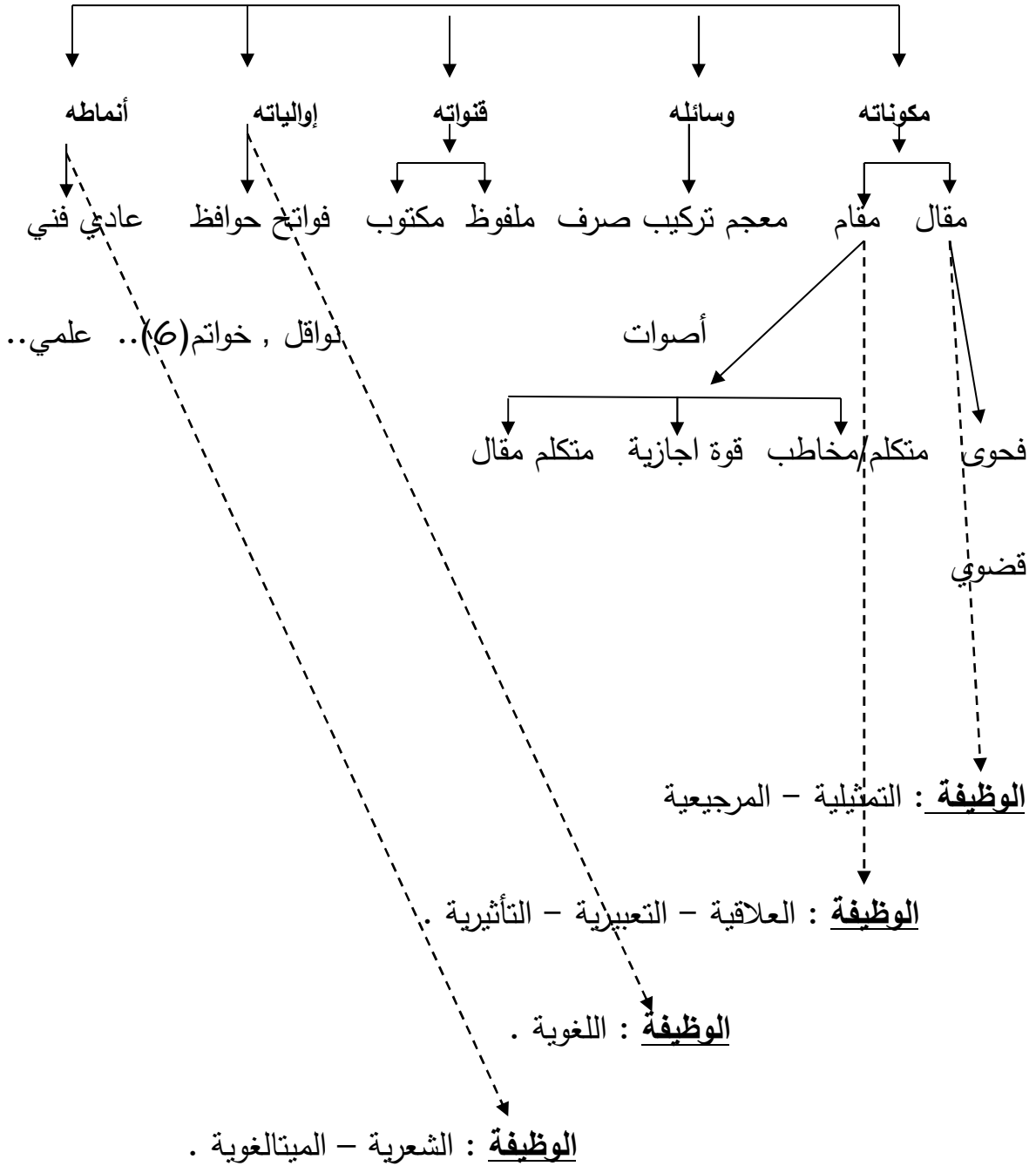


27

الرسم : 04

أهم مقومات عملية التواصل

دمج الوظائف الفرعية في الوظيفة الكلية



هذه الخطاطة بناء على جملة من المعطيات قررها أحمد المتوكل منها :

- 1 - (لا موجود موجود دون أن تكون له وظيفة وجد من أجل تأديتها)²⁸ .
- 2 - (الموجود يتخذ كلياً أو جزئياً الشكل الذي تتطلبه الوظيفة المسندة إليه)²⁹ .
- 3 - (لو أن الوظائف المضافة إلى وظيفة التواصل كانت حقا وظائف قائمة الذات لأمكن استقلال بعضها عن بعض ، و ورود بعضها دون بعض ، فهل ترد - مثلا - الوظيفة التمثيلية دون وظيفة علاقية ؟)³⁰ .
- 4 - (تتوحيد الجهاز الواصف و تلافي تعدد النظريات أو تعديد المقاربات داخل النظرية الواحدة)³¹ .

لهذا بات من المعلوم في التفكير اللساني الحديث أن تحديد أي عنصر لغوي إنما هو مرهون بالنظر إلى غيره و مدى تعالقه به فالوظيفة (هي نتاج علاقة قائمة بين طرفين .. إذا انتظم الطرفان (س) و (ص) بالعلاقة (ع) نتجت .. الوظيفة (ظ) ، و الوظيفة (ظ) وجودها متعلق .. بانتظام العنصرين (س ، ص) بالعلاقة (ع) ... فلا وظيفة بغير علاقة

28 - أحمد المتوكل : التركيبات الوظيفية ، قضايا و مقاربات ، ص : 24 .

29 - المرجع نفسه ، ص : 24 .

30 - المرجع نفسه ، ص : 27 .

31 - المرجع نفسه ، ص : 28 .

بين طرفين , و بهذا المعنى يمكن أن نلتصم الوظيفة في مختلف مستويات اللغة و فروعها .. (32 .

ج - ماهية النحو الوظيفي

النحو الوظيفي هو تلك النظرية التي تنطلق من مبدأ مفصلي يقوم على أساس (تبعية البنية لوظيفة التواصل)³³ أي أن بنية اللغة بكل تجلياتها جملة كانت أو نصا أو خطابا .. تخضع إلى حد كبير للوظيفة التواصلية التي وجدت لأدائها و لهذا فالنحو الوظيفي (يحاول وصف بنية اللغات الطبيعية بربطها بما تؤديه هذه اللغات من وظائف داخل المجتمعات البشرية)³⁴ , فبنية اللغة من هذا المنظور تستمد الخصائص المحققة للفعل التواصلية وأهدافه من الوظيفة التواصلية بكل أبعادها و تداخلاتها حتى مع تلك (المفاهيم المتعددة التي تتلامس معه و لا تتفصل عنه إلا بمقدار نسبه إليه)³⁵ .. و بالتالي فالنحو الوظيفي مقارنة لسانية للظاهرة اللغوية الطبيعية يعطي أهمية كبرى للوظيفة التواصلية المتحكمة في العناصر المؤسسة للسلوك اللغوي الطبيعي و علاقاتها المتواشجة في انسجامية و اتساقية ... من حيث إن التواصل لا (ينظر إليه على أنه نقل عادي للأخبار بواسطة ميكانيزمات

32 - محمد الأوراغي : الوسائط اللغوية , اللسانيات النسبية و الأنحاء النمطية , منشورات ضفاف , ط2 : 2013 م , ج 2 , ص : 48 .

33 - حافظ اسماعيلي علوي و وليد أحمد العناتي : أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات , منشورات الاختلاف , ط1 : 2009 م , ص : 35 .

34 - المرجع نفسه , ص : 35 .

35 - عمر مهيبيل : إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة , منشورات الاختلاف , ط1 : 2005 م , ص

معينة³⁶ بل يجب اعتباره على أنه (فعل بل مجموعة من الأفعال (المعرفية - الاجتماعية (تستند إلى خطاطات أفعال بواسطة سنن أو رموز يتم المفاهيم من خلالها شفاها أو كتابة ..)³⁷ ,

كل ذلك جعل النحو الوظيفي باعتباره بحثا لسانيا يروم بلوغ مقاصد استراتيجية منها : مقصد الأجرأة والانفتاح على الحياة الاجتماعية - اقتصادية، و مقصد الاندماج في مجالات التنمية المختلفة خاصة منها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، وذلك بتوظيف آلياته ومخططاته ، واستثمار ما توصل إليه البحث العلمي في المجالات الحيوية التي تعتمد اللغة أساساً في أدائها و وجودها و اشتغالها , مثل : الترجمة، والتواصل، وتعليم اللغات للناطقين بها و غير الناطقين بها ، والتعاطي المعرفي مع الاضطرابات النفسية واللغوية و المشكلات اللغوية التعليمية ...، وذلك بفضل ما أصبح يتمتع به النحو الوظيفي من مؤهلات وإمكانات تنظيرية و تطبيقية ، تؤهله لأداء تلك المهام على أحسن وجه ..

د - المبادئ الأساسية للنحو الوظيفي

يقوم النحو الوظيفي وكذا نظريته على جملة مبادئ متماسكة و متعالقة تؤسس رؤية لسانية وظيفية متميزة قائمة بذاتها (شأنها في ذلك كل النظريات .. بقطع النظر عن الإطار

36 - عمر مهيبيل : إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة , ص : 17 .

37 - المرجع نفسه , ص : 17 .

الذي يتبناها قديما كان أم حديثا ، ³⁸ ، تؤهلها لأن تكون حقا معرفيا بجهاز واصف فاعل و قادر في الوقت نفسه على مقارنة الظاهرة اللغوية و شق معالم معرفية تبين هويته و تمكنه من الإنتاج المعرفي و المفاهيمي الذي يساعد على تسخير الظاهرة اللغوية في مجالات حياتية و اقتصادية خادمة للمصلح الإنسانية جمعاء ..

تعد المبادئ العامة هذه من حيث العدد عشرة ، لكنها من حيث التدقيق و الموازنة و المفاضلة نجدها (تقبل التقليص دون إخلال إلى أربعة مبادئ رئيسية ، على أساس أن هذه المبادئ الأربعة أصول لمبادئ أخرى فرع عنها ..)³⁹ ، هذه المبادئ الأصول تتمثل فيما يلي :

أ - المبادئ الأصول

1 - أدوات اللغة :

(مقارنة اللغة تقوم على أساس أنها أداة للتواصل داخل المجتمعات البشرية)⁴⁰

(المقارنة الصورية تعد اللغة موضوعا مجردا ، أي مجموعة من الجمل تربط بين مكوناتها علاقات صرفية - تركيبية و دلالية . في هذا المنحى تقارب اللغة على أساس أنها بنية

38 - حافظ اسماعيلي علوي و وليد أحمد العناتي : أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات ، حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية ، ص : 35 .

39 - محمد الحسين مليطان : نظرية النحو الوظيفي ، الأسس و النماذج و المفاهيم ، منشورات ضفاف ، ط1 : 2014 م ، ص : 19 .

40 - المرجع نفسه ، ص : 19 .

مجردة يمكن أن تدرس خصائصها في حد ذاتها , أي بقطع النظر عما يمكن أن تستعمل من أجله . أما المقاربة الوظيفية فتعتبر اللغة أداة تسخر لتحقيق التواصل داخل المجتمعات البشرية . من هذا المنظور , تعد العبارات اللغوية , مفردات كانت أم جملا , وسائل تستخدم لتأدية أغراض تواصلية معينة و تقارب خصائصها البنيوية على هذا الأساس)⁴¹

2 - وظيفة اللغة الأداة

(وظيفة اللغة الأساس هي وظيفة التواصل تتفرع عنها وظائف أخرى : تعبيرية و إقناعية و غيرها ..)⁴²

و تأسيسا على أن اللغة أداة , فإن مستعملو اللغة/الأداة يستخدمونها عموما (لتحقيق أغراض متعدد كالتعبير عن الفكر و الأحاسيس و المعتقدات و التأثير في الغير بإقناعه أو ترغيبه أو ترهيبه أو مجرد إخباره بواقعة ما .

إلا أن هذه الأغراض و إن تعددت و اختلفت من حيث طبيعتها آوية إلى وظيفة واحدة هي تحقيق التواصل بين أفراد مجتمع ما . فمن المعلوم أن التواصل يمكن أن يتم عبر قنوات أخرى كالإشارة و الصورة إلا أن التواصل عبر هذه القنوات لا يرقى قوة و دقة إلى التواصل المتوسل فيه باللغة .

41 - حافظ اسماعيلي علوي و وليد أحمد العناتي : أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات , حصيلة نصف قرن من اللسانيات

في الثقافة العربية , ص : 35 - 36 .

42 - محمد الحسين مليطان : نظرية النحو الوظيفي , الأسس و النماذج و المفاهيم , ص : 19 .

و من المعلوم أيضا أن أدوات التواصل غير اللغوية قد تتضافر مع اللغة في أنساق تواصلية مركبة كاشريط السينمائي مثلا⁴³

6 - القدرة اللغوية

(القدرة التي يكتسبها مستعمل اللغة الطبيعية قدرة تواصلية عامة تشمل كل المعارف اللغوية و الخطابية و غيرها التي تمكنه من إنتاج أي خطاب و فهمه و تحويله إما ترجمة أو تفسيراً أو تأويلاً أو شرحاً ..)⁴⁴

(ما يقصد عامة بالقدرة اللغوية - في مقابل الانجاز - المعرفة التي يختزنها المتكلم-السامع عن طريق الاكتساب و التي تمكنه من إنتاج و تأويل عدد غير متناه من العبارات السليمة).⁴⁵

(ما يجب أن يكون موضوعاً للوصف اللغوي هو القدرة دون الإنجاز)⁴⁶

النحو الوظيفي لا يميز بين (قدرة نحوية و قدرة تداولية و إنما هي قدرة تواصلية واحدة تضم إضافة إلى معرفة النسق اللغوي في حد ذاته معارف أخرى ... و هي المعارف السياقية الآتية و المعارف السياقية العامة)⁴⁷

43 - حافظ اسماعيلي علوي و وليد أحمد العناتي : أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات , حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية , ص : 36 .

44 - محمد الحسين مليطان : نظرية النحو الوظيفي , الأسس و النماذج و المفاهيم , ص : 19 .

45 - حافظ اسماعيلي علوي و وليد أحمد العناتي : أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات , حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية , ص : 37 .

46 - المرجع نفسه , ص : 37 .

(في هذا المنظور يستحضر المتكلم-السامع أثناء إنتاج عبارات لغته أو فهمها كل هذه المعارف و إن كان استحضارها يتفاوت باختلاف موقف التواصل و ملابساته و نمط الخطاب المنتج , و إن كانت المعرفة النحوية الصرف تقوم بالدور المركزي في حالات التخاطب العادية)⁴⁸ .

7 - الأدوات و بنية اللغة

(تحكم الوظيفة بنية اللغة عامة ما يمكن أن ينتج داخلها من أنماط خطابية إن في التزامن أو في التطور)⁴⁹

عند النظر في كل النظريات اللغوية القيمة و الحديثة منها نجدتها تبتغي من مجهوداتها البحثية المعرفية تحقيق أهداف مركزة و إن تعددت , إلا أن من أكبر هذه الأهداف و أهمها هي (دراسة بنية اللغة مستويات و مكونات و علائق)⁵⁰ , لهذا (فلا مشروعية للحديث عن الوظيفة إلا إذا كانت تؤثر تأثيرا دالا في البنية)⁵¹ (بنية اللغة تأخذ الخصائص التي تخدم إنتاج التواصل و أهدافه و مختلف أنماطه)⁵² , و لتوضيح هذا التصور و دعمه بالأمثلة و الشواهد ننتقل من أن الفعل التواصلية تشترط فيه (ثلاثة عناصر أساسية :

47 - حافظ اسماعيلي علوي و وليد أحمد العناتي : أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات , حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية , ص : 37 .

48 - المرجع نفسه , ص : 37 - 38 .

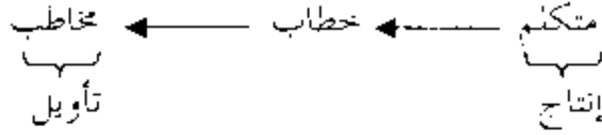
49 - محمد الحسين مليطان : نظرية النحو الوظيفي , الأسس و النماذج و المفاهيم , ص : 19 .

50 - أحمد المتوكل : المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي , الأصول و الامتداد , ص : 27 .

51 - أحمد المتوكل : المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي , الأصول و الامتداد , ص : 27 .

52 - المرجع نفسه , ص : 28 .

متكلما و مخاطبا و خطابا ينتجه المتكلم و يؤوله المخاطب , كما توضح ذلك الترسية التالية :



(⁵³ , هذه العملية التواصلية قد تتخذ صورتين تقابليتين : التواصل الناجح أو التواصل غير الناجح , ففي الحالة الأولى : يخلو (الخطاب من كل ما يمكن أن يحول بين المخاطب و بين تأويله , و هو ما يسعى المتكلم في تحقيقه : في حالات التواصل العادي)⁵⁴ , أما في الحالة الثانية : ففيها تعاق بنيويا العملية التواصلية تتعرض إلى التشويش و الاضطراب فينقطع بذلك الفعل التواصلية بين المتكلم و المخاطب , إلا أنه (يمكن إرجاع العوائق البنيوية إلى ما ينتج عن ثلاث عمليات هي : الحذف و الإضافة و النقل)⁵⁵

أ - عائق الحذف :

و لتوضيح ذلك نورد المثال الآتي :

أ -- خالدا، قابله

ب - قابله

53 - المرجع نفسه , ص : 28 .

54 - المرجع نفسه , ص : 28 .

55 - المرجع نفسه , ص : 28 .

لكل خطاب طبيعي (ركنان أساسيان : الخطاب ذاته و جملة أو مجموعة جمل , و ما يحيل على مجال الخطاب , هذان الركنان متوافران كلاهما)⁵⁶ في الأمثلة السابقة , و الرسم البياني الآتي يجلي ذلك :

[خالِد]	[قَابِلْتُهُ]
ب	ب
مَجَال	خَطَاب

يبين هذا الرسم أنه مكون من طرفين : مجال و خطاب , و الطرف الأول - هنا -) ضروري لانجاح عملية التواصل خاصة في بدايتها حيث لا قرينة مقالية أو مقامية تؤشر إلى مجال الخطاب)⁵⁷ , مما يعني أن الخطاب لا يتم تفكيكه و تأويله بنجاح إن كان مبنيا على طرف واحد .. و لهذا فالطرف الثاني/الخطاب : قابلته (باعتبارها جملة ابتدائية في عملية التواصل غير مقبولة من شأن المخاطب أن يردها على المتكلم مطالبا إياه بتحديد مجال خطابه كما يبين ذلك الحوار التالي :

أ - من الذي قابلته؟
 ب - خالِد (58 .

ب - عائق الإضافة :

56 - أحمد المتوكل : المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي , الأصول و الامتداد , ص : 29 .

57 - المرجع نفسه , ص : 29 .

58 - أحمد المتوكل : المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي , الأصول و الامتداد , ص : 29 .

(من الإضافات المخلة بالتواصل تعدد الإدماج في نفس الجملة كما هو الشأن الجملة

(الآتية :

قابلت الرجل الذي اشترى السيارة البيضاء التي باعها جارنا لصاحب المقهى الذي يوجد
بشارع محمد الخامس .

هذه الجملة تكرر فيها (إدماج عبارات موصولة)⁵⁹ , مما جعلها تركيباً (يصعب على
المخاطب تحليلها و فهمها دون عناء في مقابل)⁶⁰ صورة الجملة إن صيغت على الشاكلة
الآتية :

قابلت الرجل الذي اشترى السيارة البيضاء.

ج - عائق النقل :

مكونات التركيب اللغوي في الخطاب التواصلية محكومة بضوابط داخلية و خارجية
تتحكم في انسجامها و تماسكها حتى تؤدي أغراضها بدقة و تحقق الاتصالية في أقصى
صورها و أكملها .. إلا أن بعض هذه الضوابط و من بينها الرتبة و الموقعية تتعرض
لمقتضيات بنوية و سياقية إلى التغيير و التبديل , لهذا - و من الطبيعي - أن نجد ()
بعض المكونات محتلة لموقع غير موقعها الأصلي نتيجة عملية نقل معينة)⁶¹ , لكن الذي

59 - المرجع نفسه , ص : 29 .

60 - المرجع نفسه , ص : 29 .

61 - أحمد المتوكل : المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي , الأصول و الامتداد , ص : 30 .

يجب التنبيه إليه هنا ، حتى تكون الصورة واضحة و منسجمة مع طبيعة الظاهرة اللغوية باعتبارها - كما يذهب الكثير من اللسانيين و على رأسهم دي سوسير - مؤسسة اجتماعية و نظاما قائما بذاته متناسقا من العلامات المتميزة فيما بينها و أداة للتواصل ، هذا الذي ننبه إليه هو أن النقول اللغوية في معظمها (تكون مبررة تداوليا ... إلا أن منها ما يتسبب في التشويش على عملية التواصل خاصة شق التأويل منها)⁶² ، و لتوضيح هذه الرؤية نستدعي مثالا موجزا نعرضه في ما يلي :

أ - إن خالدا شاعرٌ ملهمٌ وهو ما يُقرّ به الكلّ .
ب - إن خالداً شاعرٌ - وهو ما يقر به الكل - ملهمٌ .

حتى تتكون الرسالة اللغوية و تؤدي وظائفها المتنوعة الجزئية و الكلية يقتضي ذلك أن (تتضام عناصر الخطاب عامة)⁶³ ، ثم تلتف عناصره اللغوية حول محورية مركزية (بحيث لا تقبل إلا بعسر أن يتخللها عنصر أجنبي ..)⁶⁴ يخترق نسقيتها و يعيد تشكيل بنيتها مما يجعلها بعيدة عن أن تكون (أكثر طبيعية)⁶⁵ ، إذا ما قورنت بحالتها قبل هذه النقلة التعبيرية ، و هذا الذي يمكن تلمسه عند المقارنة بين جملتي المثال السالف فالجملة الأولى :

إن خالدا شاعر ملهم و هو ما ق ربه الكل .

62 - المرجع نفسه ، ص : 30 .

63 - المرجع نفسه ، ص : 30 .

64 - المرجع نفسه ، ص : 30 .

65 - أحمد المتوكل : المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ، الأصول و الامتداد ، ص : 30 .

هي من التلقي الأولي (أكثر طبيعية من رديفتها)⁶⁶ و أبعد عن الغرابة من :

إن خالدا شاعر - و هو ما ق ربه الكل - ملهم .

و (تكمن غرابة الجملة الأخيرة في كونها)⁶⁷ نتاج تغيير موقعي و نقلا غير انسجامي و اتساقى لعبارة : و هو ما ق ربه الكل , - من منظور النحو الوظيفي - (من خارج المجال و إقحامها بين رأس المركب الصفي و فضلته , و هذا الضرب من التراكيب .. يكون تأويله عادة أعسر)⁶⁸ .

ب - المبادئ الفروع

أما المبادئ الفروع فيمكن عرضها فيما يلي :

3 - اللغة و الاستعمال

ما طبيعة العلاقة الرابطة بين اللغة و استعمالها ؟ هل هما طرفان متساويان من حيث القيمة و التأثير و التأثر ؟

(يرتبط نسق اللغة ارتباطا وثيقا بنسق استعمالها)⁶⁹ , و هما في الوقت نفسه (نسقان مختلفان من حيث طبيعتهما لكنهما مترابطان)⁷⁰ . (يتجلى هذا الترابط في كون نسق

66 - المرجع نفسه , ص : 30 .

67 - المرجع نفسه , ص : 30 .

68 - المرجع نفسه , ص : 30 .

69 - أحمد المتوكل : المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي , الأصول و الامتداد , ص : 21 .

الاستعمال يحدد في حالات كثيرة قواعد النسق اللغوي المعجمية و الدلالية و الصرفية -

التركيبية و الصوتية ..⁷¹

ما المقصود بنسق الاستعمال في منظور الدرس الوظيفي ؟ (مجموعة القواعد و الأعراف التي تحكم التعامل داخل مجتمع معين)⁷² .

من أمثلة ذلك (اختلاف خصائص العبارات اللغوية باختلاف الوسائط الاجتماعية : كجنس المخاطب و سنه و طبقتة المجتمعية و المنطقة الجغرافية التي ينتمي إليها . فالمتكلم لا يستعمل نفس النمط من العبارات في مخاطبة أشخاص ذوي أوضاع مجتمعية مختلفة)⁷³ , و المثال الآتي يوضح ذلك :

لو انطلقنا من أن متكلمنا ما يبغى التواصل مع مخاطب ما , لكن في إطار حمله على (إنجاز واقعة ما و لتكن الواقعة مناولته الملح أثناء الأكل :

أ - إذا كان المخاطب ذا وضع يساوي وضع المتكلم استعملت عبارة من قبيل :

ناولني الملح من فضلك .

ب - و إذا كان وضع المخاطب يعلو وضع المتكلم استعملت العبارة :

70 - المرجع نفسه , ص : 21 .

71 - المرجع نفسه , ص : 21 .

72 - المرجع نفسه , ص : 21 .

73 - المرجع نفسه , ص : 21 .

هل تستطيع أن تتاولني الملح من فضلك ؟ .

ج - أما إذا كان وضع المخاطب دون وضع المتكلم فنستعمل إحدى العبارتين المباشرتين

التاليتين :

ناولني الملح .

الملح .⁷⁴

4 - سياق الاستعمال

التواصل اللغوي الناجح يقتضي (تطابق العبارة المنتقاة سياق استعمالها)

- أنواع سياق الاستعمال : يمكن تقسيم سياق الاستعمال إلى نوعين رئيسيين :

أ - السياق المقالى/اللغوي :

هو (مجموعة من العبارات المنتجة في موقف تواصلى معين باعتبار أن عملية التواصل لا

تتم بواسطة جمل بل بواسطة نص متكامل في غالب الأحوال)⁷⁵ (من أهم مظاهر الترابط

بين عبارات النص ظاهرة : العود الإحالي المعروفة التي تربط بين ضمير ما و مركب

اسمي سابق)⁷⁶ و مثال ذلك مايلي :

74 - أحمد المتوكل : المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ، الأصول و الامتداد ، ص : 21 .

75 - أحمد المتوكل : المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ، الأصول و الامتداد ، ص : 22 .

76 - المرجع نفسه ، ص : 22 .

محاضرات في النحو الوظيفي - تخصص لسانيات عامة

استعار خالد قلماً من هنته... وبعد ساعات أعاده إليها.

ب - السياق المقامي :

و يراد به (مجموعة المعارف و المدارك التي تتوافر في موقف تواسلي معين لدى كل من

المتكلم و المخاطب)⁷⁷

و يمكن تقسيم هذه المعارف التي يقتضيها سياق المقام إلى نوعين :

أ - المعارف الآنية :

(هي المدركات الحسية : السمعية و البصرية و غيرها , المتواجدة في موقف التواصل

ذاته)⁷⁸ . (من مظاهر ارتباط إنتاج العبارات اللغوية أو تأويلها بهذا الصنف من المدركات

: إحالة الأدوات الاشارية على ذوات حاضرة أثناء التواصل , كما هو شأن اسم الاشارة في

الجملة ..)⁷⁹ :

ناولني ذلك من فضلك !

77 - المرجع نفسه , ص : 23 .

78 - المرجع نفسه , ص : 23 .

79 - المرجع نفسه , ص : 23 .

(ما يبرر الاكتفاء بالاحالة على الذات المقصودة في الجملة .. بواسطة مجرد اسم إشارة هو

: توافر هذه الذات أثناء التخاطب و تعرف المخاطب عليها)⁸⁰

ب - المعارف العامة :

هي (ما يشكل مخزون المتخاطبين المعرفي الذهني حين التخاطب . و يشمل هذا المخزون

كل ما يعرفه كل من المتكلم و المخاطب عن عالم الواقع و عن عوالم ممكنة أخرى)⁸¹ .

(المخزون المعرفي الذهني يسهم في تحديد سلامة العبارة اللغوية أو عدم سلامتها . فقد

تكون العبارة سليمة نحواً و دلالة لكن لاحنة بخرقها لمعرفة من المعارف العامة)⁸² لا، و

مثال ذلك الجملة الآتية :

صومعة حسان من أجمل آثار مراكش

فهي سليمة و مقبولة من حيث الجانب النحوي و الدلالي ، و لكنها غير تواصلية و غير

مستساغة من قبل : المتكلم و المخاطب ، هذا الأخير خاصة (لا يمكن أن يقبل .. هذه

الجملة على سلامة بنيتها ، إذا كان يعلم أن : صومعة حسان من آثار الرباط لا مراكش)⁸³

5 - اللغة و المستعمل

80 - أحمد المتوكل : المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ، الأصول و الامتداد ، ص : 23 .

81 - المرجع نفسه ، ص : 23 .

82 - المرجع نفسه ، ص : 23 .

83 - أحمد المتوكل : المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ، الأصول و الامتداد ، ص : 24 .

هناك ثلاثة عناصر أساسية تشكل (حمولة العبارة اللغوية)⁸⁴ و هي مصنفة على

الترتيب الآتي :

(- أولا : فحواها القضوي ,

- وثانيا : القصد من إنتاجها : إخبار أو استفهام أو أمر أو غير ذلك ,

- وثالثا : .. موقف المتكلم من الفحوى القضوي)⁸⁵ , و العنصر الثالث هو الذي يهتم في

هذه المحطة , لأن المتكلم تنتوع تعاملاته تجاه الفحوى القضوي باختلاف مواقفه التواصلية و

أشكال تحدياته و مستوياته ..

- أنواع مواقف المتكلم :

يمكن النظر إلى مواقف المتكلم تجاه الفحوى القضوي لأي مخاطب لغوي هادف إلى

هذه الأنواع الآتية :

أ - الموقف المعرفي :

قد يقف المتكلم موقفا معرفيا قبالة فحوى قضوي لخطاب ما , و قد يكون هذا الموقف

المعرفي متنوعا : بين (يقين أو شك أو احتمال)⁸⁶ , و مثال ذلك :

84 - المرجع نفسه , ص : 24 .

85 - المرجع نفسه , ص : 24 - 25 .

86 - أحمد المتوكل : المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي , الأصول و الامتداد , ص : 25 .

محاضرات في النحو الوظيفي - تخصص لسانيات عامة

- أ- إن خالدًا سيسافر قطعاً
 ب- لا أظنه أن خالدًا سيسافر
 ج- قد يسافر خالد.

ب - الموقف الانفعالي :

مما لا شك فيه أن الانفعال يمثل قيمة كبيرة في تشكيل كينونة المتكلم - السامع و كذا المخاطب , بل عامل أساس في تفعيل العلاقات الاجتماعية و فهم الآخرين و التعامل معهم و مواجهة المواقف و التفاعل معها و تحديها ... لكن هذا الإنفعال يأخذ صوراً شتى منها :
 التعجب و الاستغراب و الاستحباب ...

- أ- ما أروع هنداً في حمارها الأسود !
 ب- كيف يهاجم التلميذ أستاذه؟ !

ج - الموقف المرجعي :

و يراد به (إسناد فحوى العبارة إلى مرجع خارجي قصد التملص من مسؤولية تبليغه

(⁸⁷ , ومن أمثلة ذلك ما يلي :

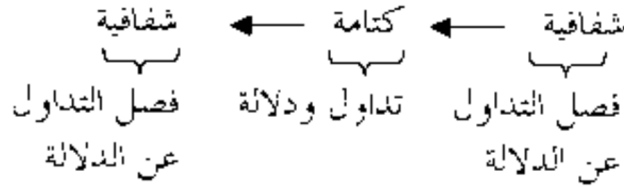
- أ- يبدو أن الحرب ستقوم
 ب- بلغني أن خالدًا سيؤثر
 ج - أرجفوا أن هنداً تعشق جارها.

هذه الجمل و ما تقدمها إنما هي دالة على مواقف متنوعة للمتكلم تجاه فحواها القضيوي

, مما يعني أنها باتت (كعلامات تؤشر لحضور المتكلم في الخطاب الذي ينتجه)⁸⁸

8 - الأدوات و تطور اللغة

إذا كان ما تقدم يقودنا إلى تأكيد أن (وظيفة التواصل تتحكم بقسط وافر في بنية اللغة تزامنيا , فإنه يصبح من المنطقي أن نتوقع أنها تسهم أيضا في تطورها)⁸⁹ , إلا أنه (قد يطرأ على بنية اللغة عبر تطورها ما يفقدها شفافية بنيتها أو بعضا من هذه الشفافية , فينمحي الفصل بين المستويين : العلاقي و التمثيلي , إلا أنها سرعان ما تبدأ في السعي في استعادة شفافيتها المفقودة تحاشيا للتعتم المخل بالتواصل ...)⁹⁰ و الرسم البياني التجريدي الآتي يوضح ذلك :



أما إذا نزلنا بهذه الخطاظة التصورية إلى أرض الواقع اللغوي التواصلني نجد الكثير من الأمثلة التي تجسدها تجسيدا لا يدع مجالاً للشك تلك المراحل الثلاث المتعاقبة... منها ما يلي :

88 - أحمد المتوكل : المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي , الأصول و الامتداد , ص : 25 .

89 - المرجع نفسه , ص : 33 .

90 - المرجع نفسه , ص : 34 .

[قائلته]	[مخاند]
لـ	لـ
مخصاب	مجال

هذا المثال يجعلنا نقف تجاهه في ثلاث محطات :

1 - (الجملة الواردة في بداية الخطاب تتبني عامة على مكونين :

- مكون دال على مجال الخطاب

- و مكون يليه يدل على فحوى الخطاب)⁹¹

2 - (بكثرة الاستعمال و تكراره ينزع المكون الخارجي إلى الاندراج داخل الخطاب ذاته

فينتج عن ذلك تراكيب ما أسماه النحاة العرب القدماء : الاشتغال , بهذا الاندراج تنقلب

التراكيب من قبيل :

أ - هند، أحببتها

إلى التراكيب من قبيل :

ب - هنداً أحببتها.)⁹²

3 - (بامتصاص المكون الدال على مجال الخطاب داخل الخطاب ذاته تصبح اللغة فاقدة

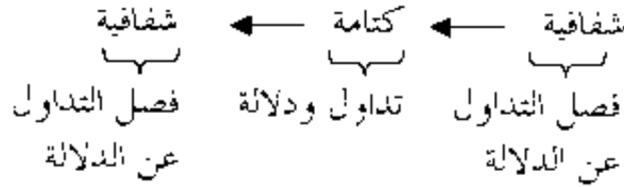
القدرة على التمييز بين : الخطاب و مجاله , مما يخل بعملية التواصل . و هذا وضع شاذ

91 - أحمد المتوكل : المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي , الأصول و الامتداد , ص : 34 .

92 - أحمد المتوكل : المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي , الأصول و الامتداد , ص : 34 . بتصرف .

لا يمكن أن يطول , لذلك تعود اللغة إلى إفراس التراكيب الأصلية المطابقة)⁹³ للرسم البياني

السالف :



أما إذا تزامن التركيبان في مرحلة زمنية معينة فإن (التركيب الثاني - أي : هندا أحببتها - غالباً ما يتدرج نحو الانقراض كما حصل في اللغة العربية الفصحى المعاصرة حيث لا نكاد نعثر على ما يسمى بتراكيب الاشتغال)⁹⁴ .

9 - الأدوات و الكليات اللغوية

الكليات اللغوية هي من حيث المفهوم : (مجموعة من المبادئ العامة)⁹⁵ تمكن المتكلم - السامع (بمعونة محيطه من اكتساب لغة معينة , لغة العشيرة اللغوية التي)⁹⁶ ينتمي إليها و يحي فيها .

93 - المرجع نفسه , ص : 34 - 35 .

94 - المرجع نفسه , ص : 35 .

95 - أحمد المتوكل : المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي , الأصول و الامتداد , ص : 35 .

96 - المرجع نفسه , ص : 35 .

فإذا كان (لكل نمط من اللغات خصائصه التي ينفرد بها و تميزه عن غيره من الأنماط و تتطلب أن يوضع لكل نمط نحوه الخاص , إلا أن للسان الطبيعي خصائص عامة تتقاسمها اللغات على اختلاف أنماطها , و هو ما يسمى : الكليات اللغوية)⁹⁷ , و هذه الأخير ينظر إليها من حيث التصور المفهومي اللساني من زاويتين :

أ - زاوية المنحى الصوري :

يتصور هذا الفريق من العلماء النزاعين إلى النظرة اللسانية المؤسسة على المنحى الصوري أن الكليات اللغوية ما هي إلا (كليات صرفية-تركيبية و دلالية)⁹⁸ ليس إلا .

ب - زاوية المنحى الوظيفي :

أما الكليات اللغوية في هذا المنظور اللساني الوظيفي (فإنها تجمع ... بين الوظيفة و الصورة , بين بنيات معينة و ما تسخر هذه البنيات لتأديته من أعراض تواصلية)⁹⁹ , و إنما هذا يعنى في صميم الطرح النحوي الوظيفي أن (ما يجمع بين اللغات مجموعة من الوظائف تأتلف اللغات أو تختلف في التراكيب التي يتوسل بها في تحقيق هذه الوظائف)¹⁰⁰ .

10 - الأدوات و اكتساب اللغة

97 - المرجع نفسه , ص : 35 .

98 - المرجع نفسه , ص : 35 .

99 - المرجع نفسه , ص : 35 .

100 - أحمد المتوكل : المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي , الأصول و الامتداد , ص : 35 .

من مسلمات النحو الوظيفي نقطتان رئيستان في مسألة فلسفة اكتساب و تعلم اللغة و

هما :

أ - (لا يكتسب الطفل قدرة لغوية محضة بل قدرة على التواصل مع محيطه الاجتماعي

101(

ب - (لا يتعلم أصوات لغته و قواعد صرفها و تركيبها بل يتعلم معها ما تؤديه من أغراض

تواصلية)¹⁰² .

(يكتسب الطفل في محيط اجتماعي معين نسقين مترابطين : نسق اللغة و نسق استعمالها

103(

(يستضمر الطفل في أثناء عملية الاكتساب قواعد لغته و يستضمر في ذات الوقت ما

يحكم استعمالها في مقامات التواصل .)¹⁰⁴

و هذا ما يحدث لمكتسب اللغة العربية ذاتها إذ (يختزن متعلم اللغة العربية مثلا قاعدة نقل

أحد مكونات الجملة إلى الموقع الصدر و يختزن معها في وقت واحد أنها تجري في موقف

معين , حين يكون المقصود من التواصل : تصحيح إحدى معلومات المخاطب)¹⁰⁵ .

101 - المرجع نفسه , ص : 36 .

102 - المرجع نفسه , ص : 36 .

103 - المرجع نفسه , ص : 36 .

104 - أحمد المتوكل : المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي , الأصول و الامتداد , ص : 36 .

105 - المرجع نفسه , ص : 36 .

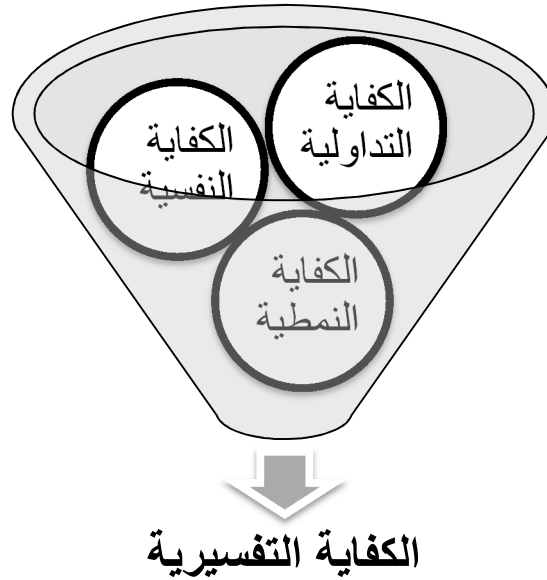
هـ - مبادئ النحو الوظيفي و الكفاية التفسيرية

يتميز النحو الوظيفي بقدرة فريدة من نوعها في تتمثل في ربطه المبادئ العشر السالفة الذكر (بمفهوم الكفاية التفسيرية)¹⁰⁶ , و هذه الأخيرة من منظور هذا الحقل المعرفي (ثلاث كفايات مترابطة متكاملة :

- الكفاية التداولية

- الكفاية النفسية

- و الكفاية النمطية)¹⁰⁷ ,



106 - المرجع نفسه , ص : 63 .

107 - المرجع نفسه , ص : 63 .

1 - الكفاية التداولية :

الكفاية التداولية تتأسس على الرصيد المعرفي للمتعلم لتنشيط خلفيته المعرفية التي تمكنه من التفاعل الخطاب اللغوي و ربطه بمحيط الإنتاج والتلقي على السواء. إلا أنها في النحو الوظيفي تحمل مفهوما دقيقا ومركزا يشي بفاعلية الجهاز الواصف لهذا المنظور اللساني . فالقواعد الضامنة لسلامة التركيب الجملي أو النصي أو أي سلوك لغوي لا تعني بالضرورة سلامة الفعل التواصل الناجح , بل هي في حاجة ماسة إلى طرف آخر حيوي يتمثل في تلك الشروط الموضوعية الطبيعية الخاصة و العامة الملازمة لفعل التخاطب جملة كان أو نسا , فتجعله ملائما للموقف التبليغي و بيئة طبيعية له ...

و لهذا عندما أراد سيمون ديك تعريف الكفاية اللغوية انطلق من جملة شروط موضوعية تؤسسه و تفعله , حيث أكد أنه (على النحو الوظيفي أن يستكشف خصائص العبارات اللغوية المرتبطة بكيفية استعمال هذه العبارات و أن يتم هذا الاستكشاف في إطار علاقة هذه الخصائص بالقواعد و المبادئ التي تحكم التواصل اللغوي . يعني هذا أنه يجب ألا نتعامل مع العبارات اللغوية على أساس أنها موضوعات منعزلة بل على أساس أنها وسائل يستخدمها المتكلم لإبلاغ معنى معين في إطار سياق تحدده العبارات السابقة و موقف تحدده الوسائط الأساسية لموقف التخاطب)¹⁰⁸ , و قد كانت لأحمد المتوكل قراءة دقيقة مركزة

لتصور سيمون ديك للكفاية التداولية المؤصلة فيما سلف ذكره نوجزها في سبع نقاط مكتفة الآتية :

1 - للعبارات اللغوية صنفان من الخصائص :

أ - خصائص مرتبطة بالاستعمال و هي الخصائص الأغلب

ب - و خصائص مستقلة عن الاستعمال غير مرتبطة بملاساته .¹⁰⁹

2 - يحكم اللغة نسقان : نسق لغوي و نسق استعمال متضافران في تحديد : اغلب

خصائص العبارات اللغوية , و هي ما يسمه سيمون ديك : الخصائص المرتبطة بالاستعمال

110 .

3 - العبارات اللغوية تعتبر وسائل يستخدمها المتكلم لتبليغ أغراض معينة .¹¹¹

4 - رصد الخصائص المرتبطة بالاستعمال يتم عبر استكشاف المبادئ التي تحكم التواصل

اللغوي . من أهم هذه المبادئ : أن التواصل عن طريق اللغة لا يقتضي المعرفة اللغوية

الصرف فحسب , بل يقتضي كذلك : معارف أخرى عامة و آنية تخص الموقف المعين

الذي تتم فيه عملية التواصل .¹¹²

109 - المرجع نفسه , ص : 64 .

110 - المرجع نفسه , ص : 64 .

111 - أحمد المتوكل : المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي , الأصول و الامتداد , ص : 65 .

112 - المرجع نفسه , ص : 66 .

5 - النحو الوظيفي من هذا المنظور يمثل : قدرة تواصلية تضم إلى جانب الملكة اللغوية ملكات أخرى معرفية أو مفهومية و اجتماعية و منطقية و إدراكية حسية .. يرمي إلى تحقيق هدف أسمى هو صوغ نموذج لمستعمل اللغة تتعدد قوالبه و تختلف بتعدد و اختلاف الملكات المكونة للقدرة التواصلية .¹¹³

6 - التواصل يتم في موقف معين و في إطار سياق تحدده العبارات اللغوية السابقة .¹¹⁴

7 - إنتاج العبارات اللغوية و تأويلها يتم في إطار خطاب متكامل : حوار أو سرد أو غيرها , و هو ما دعا .. إلى السعي في تجاوز : نحو الجملة إلى نحو الخطاب .¹¹⁵

2 - الكفاية النفسية :

يسعى الطرح الذي ينتصر له النحو الوظيفي إلى أن يكون منسجما و مطابقا للنموذجين النفسيين الرئيسيين : نموذج الإنتاج و نموذج التأويل , إذ يرمي الأول إلى تبيين الكيفية الفعلية التي يبني على ضوءها المتكلم عباراته اللغوية و نطقها , أما النموذج الثاني فيستهدف الفهم و من ثمة محاولة الغوص بعلمية في ميكانيزمات و آليات كيفية تعاطي المخاطب مع العبارات اللغوية الموجهة إليه أو التي تفرع أذنيه تحليلا و إدراكا و تأويلا . يقول سيمون ديك (تنقسم النماذج النفسية بطبيعة الحال إلى نماذج إنتاج و نماذج فهم .

113 - المرجع نفسه , ص : 66 .

114 - المرجع نفسه , ص : 66 .

115 - المرجع نفسه , ص : 66 .

تحدد نماذج الانتاج كيف يبني المتكلم العبارات اللغوية و ينطقها , في حين تحدد نماذج الفهم كيفية تحليل المخاطب للعبارات اللغوية و تأويلها . و على النحو الوظيفي الذي يروم الوصول إلى الكفاية النفسية أن يعكس بطريقة أو أخرى ثنائية : الإنتاج/الفهم هذه ¹¹⁶ . و يستخلص , اعتمادا على قراءة أحمد المتوكل , مما جاء في منظور سيمون ديك المفاهيم الآتية :

1 - يقضي ضابط الكفاية النفسية .. أن يصاغ النحو الوظيفي على أساس أن يعكس الإوالات التي تقوم بالذهن في شقي عملية التواصل كليهما , في شق إنتاج المتكلم للخطاب و شق تحليل المخاطب له و تأويله .¹¹⁷

2 - إنتاج الخطاب ينطلق من القصد إلى النطق عبر الصياغة وفقا للترسيمة الآتية :¹¹⁸

قصد ← صياغة ← نطق

3 - يشكل التداول و الدلالة - مضمومين أو منفصلين - المكون القاعدي الذي على ضوء ما يتوافر فيه من مؤشرات تصاغ البنية الصرفية-التركيبية و يتم تحققها الصوتي .¹¹⁹

116 - أحمد المتوكل : المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي , الأصول و الامتداد , ص : 66 .

117 - المرجع نفسه , ص : 67 .

118 - أحمد المتوكل : المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي , الأصول و الامتداد , ص : 67 .

119 - المرجع نفسه , ص : 67 .

4 - النماذج التي أنتجتها نظرية النحو الوظيفي جميعها , و منذ النشأة , كانت خالية من قواعد التحويل , تلك التي تحدث تغيرا بنيويا في البنية-الدخل عن طريق : حذف أو تعويض أو نقل . و الدافع الأساس في تغييب قواعد التحويل هاته من النحو الوظيفي و النحو المعجمي الوظيفي .. ثبوت عدم مطابقتها لأية عملية ذهنية يقوم بها المتكلم حين ينتج العبارة اللغوية أو المخاطب حين يؤولها .¹²⁰

5 - (القواعد : الصرفية-التركيبية المتبناة في النحو الوظيفي لا تتدرج في مجموعة القواعد الموصوفة بكونها غير ذات : واقعية نفسية . القواعد المسؤولة عن نقل : البنية التحتية (التداولية الدلالية) إلى : بنية صرفية-تركيبية مرتبة تجري على بنية غير مرتبة العناصر)¹²¹ .

6 - القواعد الصرفية-التركيبية (لا تحدث .. أي تغيير في رتبة عناصر البنية - الدخل , و إنما تسند إلى هذه العناصر ترتيبا وحيدا هو : الترتيب الأول و الأخير)¹²² .

و لتوضيح ذلك نسوق هذه الأمثلة الآتية :

أ - أحبُّ حناناً هداً
ب - هناداً أحبُّ حناناً

120 - المرجع نفسه , ص : 67 .

121 - المرجع نفسه , ص : 67 .

122 - أحمد المتوكل : المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي , الأصول و الامتداد , ص : 67 .

في منظور النحو الوظيفي الجملة (أ) :

هندا أحب خالد

ليس محولة عن الجملة (ب) :

أحب خالد هنداً

(بواسطة قاعدة نقل المكون المفعول إلى الموقع الصدر , إذ أن بنيتها التحتية التي تختلف عن البنية التحتية للجملة)¹²³ (أ) , و لهذا فإن تصور بنيتي الجملتين (أ) و (ب) تكون من خلال رؤية النحو الوظيفي مؤسسة على الشاكلة الآتية :

أ - | (أحب) (خالد) محور (هند) بؤرة جديد |
ب . | (أحب) (خالد) محور (هند) بؤرة متماثلة |

عند تأمل هاتين البنيتين مركزيين النظر في المكون : المفعول , تبدو الملاحظات الآتية جديرة بالتسجيل :

1 - في البنية الأولى : (المكون المفعول يحمل الوظيفة بؤرة الجديد¹²⁴ .. فيتموقع بذلك بعد الفعل)¹²⁵ .

123 - المرجع نفسه , ص : 68 .

124 - و هي : وظيفة تداولية تسند إلى المكون الحامل للمعلومة التي يملها المتكلم و يجهلها المخاطب . عن محمد الحسين مليطان : نظرية النحو الوظيفي , ص : 57 .

2 - أما في البنية الثانية : فالمكون المفعول (يحمل .. بؤرة المقابلة¹²⁶ التي تخوله احتلال الموقع الصدر)¹²⁷ .

3 - الكفاية النمطية

بداية , يعنى مصطلح الكفاية النمطية في التوجه النحوي الوظيفي تلك الرؤية الطموحة إلى جعل أكبر قدر ممكن من اللغات , إن لم نقل كل اللغات الطبيعية ذات البنى المتضارعة أو المتباينة , واقعة تحت سلطان المنظور النحوي الوظيفي و جهازه المفاهيمي و المعرفي , و ذلك من خلال سبر أغوار نقاط التقاطع و التلاقي و كذا نقاط التباين و التنافر...

و توسيعا لفكرة هذا الطرح نتكئ على موقف سيمون ديك فيما يخص الكفاية النمطية , إذ يقول (يزعم المنظرون للسان الطبيعي أن بإمكانهم حصر الاهتمام في : لغو واحدة أو في عدد من اللغات , فيما يقارب التتميطيون اللغة مقارنة محايدة نظريا , تعتمد منهجا استقرائيا شبه تام .

125 - أحمد المتوكل : المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي , الأصول و الامتداد , ص : 68 .

126 - هي : وظيفة تداولية تسند إلى المكون الذي يحمل معلومة تصحيحية تعوض معلومة في مخزون المخاطب يعتقد المتكلم أنها غير واردة . عن محمد الحسين مليطان : نظرية النحو الوظيفي , ص : 57 .

127 - أحمد المتوكل : المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي , الأصول و الامتداد , ص : 68 .

إن الدراسة التتميطية لا تكون ذات نفع إلا إذا أطرتها مجموعة من الفرضيات النظرية و لا تكون النظرية اللسانية , في المقابل , ذات جدوى إلا إذا كشفت عن : مبادئ و قواعد ذات انطباقية و اسعة النطاق (128) .

هذا النص التقريري الموقفي في تعاطيه مع قضية الكفاية النمطية يستبطن مجموعة من الأفكار المهمة , نعرض بعضها في النقاط الآتية :

1 - تطورات الفكر اللساني الحديث مر بثلاث مراحل أساسية :

أ - مرحلة الجمع و التصنيف

ب - مرحلة التنظير

ج - مرحلة التتميط (129) .

- المرحلة الأولى :

و فيها (لم يتعد درس اللساني .. تجميع المعطيات اللغوية و تصنيفها من حيث

خصائصها التوزيعية) (130) .

- المرحلة الثانية :

128 - أحمد المتوكل : المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي , الأصول و الامتداد , ص : 68 .

129 - المرجع نفسه , ص : 68 .

130 - أحمد المتوكل : المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي , الأصول و الامتداد , ص : 69 .

تجاوزت هذه المرحلة المنهج التجميعي التصنيفي (إلى وضع نظرية لسانية عامة تتضمن نحوًا كليًا تتفرع عنه أنحاء خاصة)¹³¹ ، وقد كان يؤطر هذا الطرح تشومسكي و من هنا نحوه من خلال النموذج المعرفي المعروف بنظرية التوليدية التحويلية .

- المرحلة الثالثة :

أما هذه المرحلة في تلك التي (تشتمل على ظهور ما سمي : اللسانيات التتميطية) ، و يقوم هذا الاتجاه على مجموعة من المقومات المعرفية و المنطلقات الابدستمولوجية منها (ملاحظة أن النظرية التوليدية التحويلية ، في بدايتها ، وضعت على أساس معطيات لغة واحدة أو بضع لغات ، فكانت تعميماتها صالحة لتلك اللغو أو تلك اللغات و غير واردة بالنظر إلى اللغات الأخرى ...) مما أوقعها في الكثير من الأحيان في مواقف حرجة تفتتها اضطرارا إلى إسقاط بعض النتائج المعرفية و القواعد المستتبطة - بالقوة التكلفة - من لغة معينة على لغة أخرى أو مجموعة لغات مباينة بنية و شكلا ،

و لتفادي هذه الوضعية الحرجة غير العلمية (أقصت اللسانيات التتميطية مفهوم النحو الكلي كما ورد في النظرية التوليدية التحويلية و عوضته بمفهوم النمط الذي اتخذ معيارا في تصنيف اللغات بإرجاعها إلى فصائل كبرى حسب خصائصها البنيوية . من هذ الفصائل الكبرى :

- اللغات السلسلية

- اللغات غير السلسلية

- اللغات ذات الرتبة الحرة

- اللغات ذات الرتبة الثابتة

- اللغات المبتدئية

- اللغات الفاعلية , و غير ذلك (132) .

2 - (النتائج التي توصلت إليها الدراسات التتميطية كان لها تأثير واضح في التنظير التوليدي التحويلي نفسه , حيث أعيد النظر في مفهوم النحو الكلي و في صياغة علاقته بالأنحاء الخاصة التي أصبحت تتولد عن طريق ما سمس : تثبيت الوسائط) (133).

3 - (إن تتميط اللغات يجب أن يندرج في إطار نظري معين , و أن هذا الإطار النظري لا تثبت صحته إلا إذا حصل أكبر قدر ممكن من الانطباقية على أكبر عدد من أنماط اللغات المتواجدة بل و الممكنة) (134) .

4 - لتحصيل الكفاية النمطية أعدت نظرية النحو الوظيفي (ضابطين اثنين على النحو :

132 - أحمد المتوكل : المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي , الأصول و الامتداد , ص : 69 .

133 - المرجع نفسه , ص : 69 .

134 - أحمد المتوكل : المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي , الأصول و الامتداد , ص : 69 .

- ربط تنميط اللغات بالكليات اللغوية

- و السعي في إحراز أكبر قدر ممكن من التجريد في صوغ المبادئ و القواعد (135)

٥- في نظرية النحو الوظيفي هناك كليات لغوية معتمدة منها (مجموعة من المبادئ العامة التي تحكم ترتيب المكونات في مجالي الجملة و المركب الاسمي ك :

- مبدأ الانعكاس

- و مبدأ الإبراز التداولي

- التعقيد التداولي و غيرها (136)

٥- هذه المجموعة من المبادئ (تتخذ ... أساسا لتنميط اللغات و رصد تطورها , مثال ذلك : التمييز بين اللغات ذات المجال البعدي التي ترتب الفضلات بعد الرأس و اللغات ذات المجال القبلي التي ترد فيها الفضلات قبل الرأس) (137) .

٦- الكفاية اللغوية تقضي (أن تكون قواعد النحو بالغة أكبر قدر من التجريد لكي تنطبق على أكبر عدد من اللغات , و أن تكون في الوقت ذاته أقرب ما يمكن القرب من الوقائع اللغوية المقعد لها) (138) .

135 - المرجع نفسه , ص : 69 .

136 - المرجع نفسه , ص : 70 .

137 - أحمد المتوكل : المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي , الأصول و الامتداد , ص : 70 .

138 - المرجع نفسه , ص : 70 .

7- الواقعية المثالية و هو (التوسط بين التجريد في التقعيد و الالتصاق بالواقع اللغوي

المراد مقارنته , أحد الضوابط الأساسية في .. نماذج النحو الوظيفي)¹³⁹ .